نساء في الإسلام

* * *

السَّيِّدة نَفيسَة

رَضِيَ اللّهُ عَنها

نجلاء شوقى حسن

نساء فى الإسلام

السَّيِّدةُ نَفيسَة

رضىَ اللّهُ عنها

تأليف

نجلاء شوقى حسن

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى ـ الفجالة

ت : ٥٩٠٨٩٢٠

السَّيِّدةُ نَفيسَة

رضِيَ اللّهُ عنها

اجتَمعتِ الأُسرةُ على مائِدَةِ العَشاء : الأبُ والأمُّ والأبناء : عادِل وشَريف وحَنان . قالَ الأب بصَوتٍ مَسموع ، وهو يمُدُّ يدَه إلى الطَّعام : بسمِ اللّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ، فمَدَّ كلٌّ منهم يدَهُ إلى الطَّعام وهو يُردِّد هذه الجُملةَ الكَريمَة .

ثمَّ قالَ الأب : اللَّيلةَ ليلةُ الخَميس ، وغدًا إن شاءَ اللّهُ يومُ الجُمُعة ، فهلْ تَرغَبونَ أن نَخرُجَ فيه للنُّزهة ، أو نَقضيهِ في البَيْت ؟

نَظر الأولادُ بعضُهم إلى بَعضٍ في دَهشَةٍ وسُرور ، وقالَ شريف :

ـ هل هُناكَ يا أبي مَكانٌ مُحدَّدٌ سنَذهَبُ إلَيْه .

(٤)

قالَ أبوه : فى الحَقيقَةِ لا ، ولكنْ يُمكِنُكم اخْتِيارَ المَكانِ المُناسبِ الّذى يُسعِدُكم .

قالَ عادِل : يُمكِنُنا أن نَقضِيَ اليَومَ فى حَديقَةِ الحَيَوان ، فأنا أشْتاقُ لرُؤيَةِ الأُسودِ والنُّمور ، والدِّبَبَةِ والقُرود .

وقالَ شَريف : ولِماذا لا نَذهبُ لزِيارَةِ قَلعَةِ صَلاحِ الدّين ؟

وقالَتْ حَنان : لدَىَّ فِكرةٌ قد تكونُ أفضَل .. أنْ نذهَبَ إلى مَسجدِ السَّيِّدَةِ نَفيسَة ، حيثُ نُؤدّى صلاةَ الجُمُعة ، ثمَّ نَخرجُ ونَقضى بعضَ الوقتِ على ضِفافِ النّيل .

فتدخّلتِ الأمُّ وقالتْ فى سُرور : واللّهِ إنّه لرَأىٌ صائبٌ يا حَنان .

وسأَلها أبوها : ولِماذا وقَعَ اختِيارُكِ يا حَنانُ على مسجدِ السَّيِّدَةِ نَفيسة ، رَضِيَ اللّهُ عَنها ؟

(٥)

قـالتْ حَنـان : لأنّنـى سمِعـتُ عنهـا ، وأحبَبــتُ أن أرَى مسجِدَها وأُصَلّى فيه .

قالَ أبوها : حَسن ! نُؤَدِّى صَلاةَ الجُمُعةِ غَدًا فى مَسجدِ السَّيِّدَةِ نَفيسة ، ونَقوم قَريبًـا إنْ شـاءَ اللّـه بِزيـارَةِ حَديقَـةِ الحَيَوانِ وقَلعَةِ صَلاحِ الدّين .

واقْتربَت حَنانُ من أَبيها ، وطلبَتْ منـه أن يَقُـصَّ عَليهِـم قِصَّةَ حَياةِ السَّيِّدةِ نَفيسَة ، رَضِىَ اللّهُ عَنها .

فقالَ أبوها فى سُرور : ما أجمَلَ الحَديثَ عنها يـا ابْنَتـى ! إنّها السَّيِّدَةُ نَفيسَة ، بنتُ السَّيدِ حَسَـنِ الأنْـوَر ، ابـنِ زَيـدِ الأبْلَج ، ابنِ سيِّدِنا الحُسَين ، ابنِ الإمامِ عَلِىّ .. رضِىَ اللّـهُ عَنهُم أجْمَعين . وُلِدت رَضِىَ اللّهُ عنها بمَكّةَ المُكرَّمَة ، يـومَ الأربِعاءِ الحادى عَشَر من رَبيعِ الأوَّل سنة ١٤٥ هجرِيَّـة . وقد وُلِدتْ ونَشأَتْ فى مَكّة ، مَدينـةِ جَدِّهـا النَّبـىِّ مُحمَّـد ـ صلّى اللّهُ عليه وسَلّم .

أمّا أبوها فهو السَّيِّدُ حَسَنُ الأَنور ، وكانَ يُسمَّى شيخَ الشُّيوخ ، وكانَ والِيًا على المَدينَةِ المُنوَّرةِ من قِبَلِ الخَليفةِ أبى جَعفَر المَنْصور ، وكانَ إمامًا وعالِمًا جَليلاً من كبارِ آلِ البَيت ، ويُعدُّ من التّابِعين ، وكانتْ حَياتُه حافلَةً بجَليلِ الأَعمالِ وكريمِ الخِصال ، إلى أن تُوفِّىَ رضِىَ اللّهُ عنه وهو فى طَريقِهِ إلى الحَجّ فى مَكانٍ قَريبٍ من مَكّة ، فحُمِل إلى مَكّةَ ودُفِنَ فيها ..

وللسَّيِّدةِ نَفيسَة ـ رضى اللّه عنها ـ تِسعةُ إخْوةٍ وأُختٍ هم : أبو القاسِم ، مُحمَّد ، علِىّ ، إبراهيم ، زَيْد ، عَبدُ اللّه ، يَحيىَ المُتوَّجُ بالأنْوار ، إسْماعيل ، إسحَق ، أمُّ كُلثوم .

أمّا زوجُها فهو إسحاقُ المُؤتَمَن ، ابنُ جَعفَر الصّادِق ، ابنُ محمَّدِ الباقِر ، ابنُ عَلىٍّ زَينِ العابِدين ، ابنُ سيِّدِنا الحُسَين ، ابنُ الإمامِ علىٍّ رضى اللّه عنهُم أجمَعين . وقد

زوَّجَها له أبوها بعدَ أن رأَى النّبيّ ــ صلّى اللّه عَليه وسلّم ــ في المَنام ، يأمُره بقَبولِ إسْحاق زوجًا لها . وتمّ العقدُ عليها يومَ الجُمُعةِ الخامسُ من رَجب سنةَ ١٦١ هِجرِيَّة . وكانَ إسحاقُ زَوجُها يَشتهِرُ بينَ النّاس بالعِلمِ والفَضلِ والخَيرِ وحَميدِ الخِصال ، وقد اشتَغلَ برِوايَةِ الحَديث .

وقد أنجبتْ السَّيِّدةُ نَفيسَةَ ــ رضى اللّه عنها ــ ولَدًا وبِنتًا هُما أبو القاسِم وأمُّ كُلثوم . وعاشَتْ ــ رضى اللّه عنها ــ عابِدةً زاهِدةً تَصومُ النّهارَ وتَقومُ اللّيل ، وكانتْ ــ رضى اللّه عنها ــ رغمَ ثَرائِها لا تأكُلُ إلاّ أكلَةً واحدَةً كلَّ ثَلاثِ لَيال ، ولا تأكُلُ شَيئًا إلاّ معَ زَوجِها . وكانت تَتَفانَى في عِبادَةِ اللّه عزَّ وجَلَّ وطاعَتِه ، وقد حجَّتْ ثَلاثينَ مَرَّة ، كانَ أكثَرُها سَيرًا على الأَقدام ، تَقرُّبًا لِلّهِ سُبحانَه وتَعالى .

وتقولُ بنتُ أخيها زَينبُ بنتُ يَحيَى المُتوَّج : خدَمتُ عَمَّتى نَفيسَةَ أربعَينَ سَنَة ، فما رَأيتُها نامَت ولا أفطَرت النَّهار ، فقلتُ لها يَوما : أما تَرفُقينَ بنفسِكِ يا عَمَّتى ؟

فقالتْ : كيفَ أرفُقُ بنَفسى وأمامى عَقباتٌ لا يَقطعُها إلاّ الفائِزون .

وكانتْ ــ رضى اللّه عنها ــ تَتحلّى بالصَّبرِ عندَ الشَّدائد ، كما اشتَهرتْ بالعَطفِ على المَساكين ، ونُصرَةِ الضَّعيف ، وعِيادَةِ المَريض ..

وكانت ــ رضى اللّه عنها ــ تُؤمِنَ بأنَّ من عبدَ اللّهَ مُخلِصًا كان الكونُ كلُّه مُسخَّرًا له . وكانَ شِعارُها دائما « ولا يَظلِمُ ربُّكَ أحَدا » .

ومن أقوالِها ــ رضى اللّه عنها : لا مَناصَ من الشَّوكِ فى طَريقِ السَّعادة ، فمن تَعدّاه وصل » ، « إنَّ الصَّلاةَ صلةٌ بين العَبدِ وربِّه ، وهى المِفتاحُ الّذى تُفتحُ به خَزائِنُ

الرّوحانِيّات ، ورَكعتانِ تَتَوفّر فيهما هذِه الصِّلَة ، خيرٌ من ألفِ رَكعةٍ جُرِّدت مِنها » .

وكانتْ تَقولُ أيضا : « إذا سَجدت ، فتذَكّر أنّك وضعتَ أكرَمَ ما في الإنسانِ وهو جَبهَتُه على الأَرض ، طاعةً لِلّهِ واعتِرافًا بفَضلِهِ وخوفًا منه » .

ولقد كانت السَّيدةُ نَفيسة ــ رضى اللّه عنها ــ تَمتازُ بالذّكاءِ وقوَّةِ الذّاكِرَة وسُرعَةُ الحِفظ ، علَى الرُّغمِ من أنّها كانت أُمِّيَّة . فقد حَفظَتِ القُرآنَ الكريمَ حِفظًا جيِّدا ، وأجادتْ تَفسيرَ آياتِه ، وعَرفتْ أحكامَه ، كما حفِظتْ أحاديثَ جَدِّها المُصطَفَى ــ صلّى اللّه عليه وسلّم ــ وفَهِمَتها فَهمًا جيِّدا ، وكانتْ تَشرحُها للنّاس ، حتّى كان من الّذينَ يَحضُرون مَجلِسَها الدينيّ ، الإمامُ الشّافِعِيّ ــ رضى اللّه عنه ــ الّذى كانَ يُكثِر من زِيارَتها للاستِزادَةِ

من عِلمِها . وكانَ يُصلّى بها التّراويحَ فى شهرِ رَمضان ، وكانَ دائما يَسألُها الدُّعاءَ له .

فإنْ حدَثَ ذلك من الإمامِ الشّافِعيّ - رضى اللّه عنه - فإنّما يدُلُّ هذا على نَقاءِ قلبِ السَّيِّدةِ نَفيسة - رضى اللّه عنها - فهى من آلِ بَيتِ الحَبيبِ المُصطَفى - صلّى اللّه عليه وسلّم - ذلكَ البيتُ الّذى مدحَهُ اللّهُ سُبحانَه وتَعالى بقَوله : ﴿ إنّما يُريدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطَهِّرَكُم تَطهيرا ﴾ سورة الأحزاب ٣٣ .

وبذلكَ تكون قد سَلكتْ طَريقَ جَدِّها المُصطَفَى - صلّى اللّه عليه وسلّم - فى القِيامِ والصِّيام لِلّه سُبحانَه وتَعالَى بقَوله ﴿ لقد كان لكُم فى رَسولِ اللّهِ أُسوةٌ حَسنَةٌ لمن كانَ يَرجو اللّهَ واليَومَ الآخِرَ وذكَرَ اللّهَ كَثيرا ﴾ .

فلقد كانَ رسولُ اللّه - صلّى اللّه عليه وسلّم - يصومُ النّهارَ ويَقومُ اللّيل حتّى تورَّمتْ قَدماه ، فقالتْ له السَّيِّدةُ

عائشَةَ ــ رضى اللّه عنها ــ لِماذا تُجهِدُ نفسَــك وقـد غفَـرَ اللّهُ لك ما تَقـدَّمَ مـن ذَنبِـك ومـا تَـأخَّر ، فقـالَ لهـا : أفَـلا أكونُ عَبدًا شَكورا ؟

وكذلِكَ السَّيِّدةُ نَفيسة ــ رضى اللّه عنها ــ كانت دائمةَ الذِّكرِ لِلّهِ ربِّ العالَمينَ فى السِّرِّ والعَلانيَة ، وأنَّ ذلك يدُلُّ على عَظيمِ قَـدرِ العِبـادة ، وأرفَعُهـا تـلاوةُ القـرآن . واللّـهُ سبحانَه وتَعالى يَقول فى الحَديث القُدُسِىّ : « أنا عنـدَ ظَـنِّ عبدى بى حينَ يذكُرُنى ، فإن ذَكرنى فى نَفسِهِ ذكَرتُـهُ فـى نَفسى ، وإن ذَكرنى فى مَلأٍ ذكرتُه فى ملأٍ خير من مَلئِـه ، وإن تَقـرَّب إلىَّ شِبرًا تَقرَّبـتُ إليـه ذِراعـا ، وإن تَقـرَّبَ إلىَّ ذِراعا تَقرَّبتُ إليه باعا ، وإنْ أتانى يَمشـى أتيتُـهُ مُهَـروِلا » وكـلُّ ذلـك يَـدلُّ علـى كَثرةِ تَقْواهـا وخَوفِهـا مـنَ اللّــه . ويظهَرُ ذلك مُتَجلّيًا فى كَلامِها وأقْوالِها . فقد قالَت :

«لا مَناصَ من الشَّوكِ فى طَريـقِ السَّعادة ، فمـن تعـدّاهُ وَصَل» .

وعندَما مرِض الإمامُ الشّافِعىّ ــ رضى اللّه عنه ــ أرسـلَ إلَيْها كعادَتِه ، يَلتمِسُ مِنها الدُّعاء .

فَحينَما ذهبَتْ إليه لتَعودَه ، قالت : « متّعهُ اللّـه بـالنّظرِ إلى وَجهِهِ الكَريم » فلمّا سمِعَ الإمامُ الشّافِعىّ ــ رضى اللّــه عنه ــ هذا الكــلام ، عـرفَ أنّـه لاحِقٌ بربِّـه ، فـأوصَى أن تُصلِّىَ عليه السَّيِّدةُ نَفيسَة صَلاةَ الجَنازَة .

ولقد نفّذت ــ رضى اللّه عنها ــ وصِيَّته ، وصلّت عليــه مأمومَة .

وذاتَ يومٍ مَرِضَ بِشرُ بن الحارِث ــ رضـى اللّـه عنـه ــ وكانَ دائمَ الـتَّردُّدِ عليهـا ، فقـد عالَجَتْـهُ السَّـيِّدةُ الطّـاهرَةُ وهو مَريض . وبَينَما هى فى زِيارَته ـــ رضـى اللّـه عنـه ـــ

دخلَ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنبلَ لِيُعالِجَه . فلمّا عَرَفَها طلب فورا من بِشرِ بنِ الحارِثِ أن يسألَها الدُّعاء .

وقالَ لها بشرُ بنُ الحارِث ـ رضى اللّه عنه : ادْعـى اللّـه لَنا : فقالت ـ رضى اللّه عنها ـ اللّهمُّ إن بِشرَ بنَ الحـارِثِ وأحمدَ بنَ حَنبلَ يَستَجيرانِ بكَ من النّار ، فأجِرهُما يا أرحَمَ الرّاحِمين .

وفى أوَّلِ جُمُعَةٍ مـن رَمضـانَ سـنة ٥٢٨ هـ ، اشتَدّت عَليهـا آلامُ المَرض وكـانتْ صائمَـة ، فنصَحَهـا الأطِبَّـاءُ بضَرورةِ الإفْطار . ولكنّها ـ رضـى اللّـه عنهـا ـ رَفضَـتْ بشِدَّة ، وقالتْ لهم :

ـ واعجبًا لكم ! إنَّ لى أربعينَ سـنةً أسأَلُ اللّـهَ سُبحانَه وتَعالى أن يتوفّانى وأنا صائِمَة ، أفَأُفطِرُ الآن ؟ معاذَ اللّه .

وفى يومِ الجُمُعةِ الخامسَ عشرَ من شَهرِ رَمضان ، نراهـا تَجتَهِدُ فى العِبادَةِ أكثَرَ وأكثَر ، وأخذتْ فـى تِـلاوةِ سـورَةِ

الأنعام ، إلى أن وصلَتْ إلى قولِ اللّـهِ سُبحانَه وتَعـالى : ﴿لـهُم دارُ السَّلامِ عنـدَ ربِّهـم وهـو وليُّهُـم بمـا كـانوا يَعمَلون﴾ .

تقولُ السَّيدَةُ زَينبُ بنتُ أخيها ، القائمَةُ على خِدْمتِها : فضَمَمتُها إلى صَدرى ، فتَشهَّدَت شَهادةَ الحَقّ ، ثم قُبِضَت وفاضَتْ روحُها الطّاهِرَةُ إلى بارِئِها ــ سُبحانَه وتَعالى ــ فحزِنَ عليها المِصريّونَ حُزنًا عَظيما .

وكانتْ زَينبُ بنتُ أخيها قد أرسلَتْ من قبلُ إلى زوجِها إسحاقَ ــ رضى اللّه عنه ــ فحضَر وقرَّر أن يذهبَ بها إلى المَدينَةِ ليَدفِنَها هناك . ولكنَّ المِصريّينَ ألَحّوا عليه وطَلبوا منه أن يَترُكَها بِمصر ، فهم سُعداءُ بآلِ بَيتِ النّبىِّ ــ صلّى اللّه عليه وسلّم ــ وأصَرّوا على بَقائِها بِمصر ، ليَتمتّعوا ببَركَتِها .

وقبرُها الّذى دُفنتْ فيه ، كانت ـ رضى اللّه عنها ـ قد حَفرتْهُ بيدَيها فى بَيتِهـا ، وكـانتْ كثـيرًا مـا تَـنزلُ وتُصلّـى فيه ، وقد خَتمت فيـهِ قِـراءةَ القُـرآنِ كـاملاً مِائـةً وتِسـعينَ مَرَّة .

وأوّلُ من بَنَى على قَبرِها ـ رضى اللّه عنها ـ هـو عُبيـدُ اللّهِ بنُ السَرِىّ بنُ الحكَمِ أميرُ مَصر . وصَدقَ اللّـهُ العظيـم إذ يَقول فى كتابِهِ العَزيز :

﴿ إنّما يُريـدُ اللّـهُ ليُذهِـبَ عنكـم الرِّجـسَ أهـلَ البَيـتِ ويُطهِّركُم تَطهيرا ﴾ .

وهنا قـالتْ حَنـان : لقـدِ أمْتَعتَـا يـا أبـى وأفَدتَنـا فـائدةً كَبيرة ، بقصَّةِ حياةِ العابِدَةِ العَظيمَةِ السَّيِّدةِ نَفيسة ـ رضـى اللّه عنها .

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

نساء فى الإسلام

(١) السيدة صفية رضى اللّه عنها

(٢) أم هانئ رضى اللّه عنها

(٣) أم ورقة رضى اللّه عنها

(٤) أسماء بنت يزيد رضى اللّه عنها

(٥) نسيبة بنت كعب رضى اللّه عنها

(٦) أم الدرداء رضى اللّه عنها

(٧) السيدة نفيسة رضى الـ

(٨) السيدة زينب رضى ا

(٩) فاطمة بنت الخطاب رضى ا

(١٠) فاطمة الزهراء رضى ا

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٥٠ قرشا